أ.د. محمد أحمد زيود(*)

النشاط الفاطمى المغربى
فى صقلية وجنوب إيطاليا

لاشك فى أن الفاطميين ، ورثوا تراثًا حضاريًا هائلاً ، شكل دعمًا كبيراً لمجهودهم البحرى، ونشاطهم الملاحى المتوسطى ، الذى بدأ مع قيام دولتهم فى المغرب العربى فى رقاده عام ٢٩٦ هـ / ٩٠٨م ، واستمر هذا النشاط فى تقدم مطرد ، حتى بعد نقلتهم الموفقة إلى مصر والشام ، وسيطرتهم على القواعد البحرية والتراث البحرى الحضارى هناك .

ومما لا شك فيه أن هذا النشاط البحرى الفاطمى فى المتوسط أكدته وأثرت فيه عوامل متعددة ومهمة ، يأتى على رأسها أهمية البحر المتوسط والقوة الدفينة الكامنة التى يأمنها لشعوبه المواجهة له ، فهو يشكل منطقة القلب من العالم القديم ، ومركز احتكاك حضارى وصراع مصيرى ، ومركز القوة العالمية ، فى غالبية عصور التاريخ .

لقد دخل العرب المسلمون عالم هذا البحر المتوسط ، وأدركوا قيمته منذ أن وطأت أقدامهم شواطئه ، وواجهوا أكبر قوة بحرية عالمية معاصرة وهى دولة الروم أو الدولة البيزنطية . وسرعان ما نافس العرب الروم فى النفوذ والسيطرة على هذا الممر المائى المتحكم

(*) أستاذ بكلية الآداب - جامعة دمشق .

بالاستراتيجيات العسكرية القوية ، والتفوق الاقتصادى الهائل ، وصاحب الحلقة الكبرى الرئيسية فى الاتصالات المائية بين القارات والشعوب .

هذا التنافس العسكرى والاقتصادى والفكرى ، جعل القوى العربية الإسلامية كافة ، تدرك أهمية البحر بوصفه سلاحًا بحريًا حربيًا مضاداً لا غنى عنه ، فاندفعت تعمل لصد التحدى البيزنطى ، وعمل الجميع مجتمعين أو متفرقين فى معظم الأحيان ضد بيزنطة ، ولم تنته العقود الإسلامية الأولى حتى غدا العرب المسلمون فى وضع متقدم على بيزنطة ، وحققوا عليها انتصارات عسكرية مدهشة ، وأجبروها على تغيير خططها البحرية العسكرية فى شرق المتوسط فاتجهت إلى غربه ، واتخذ الإمبراطور البيزنطى قسطانز الثانى (٢١ - ٤٨ هـ) (٦٤١ - ٦٦٨م) من صقلية مركزاً لنشاطه العسكرى البحرى ، وقاعدة بيزنطية ، تهدد الوجود العربى الإسلامى فى أفريقية ، وتعمل جاهدة لحماية الممتلكات والمصالح البيزنطية فى الغرب بما فى ذلك الشمال الأفريقى ، والإيطالى ، والصقلى إلى جانب التصدى للتوسع العربى المحقق والمرتقب (١). وأدركت القوى العربية الإسلامية أهمية صقلية اقتصاديًا ، ودورها ، واقتنعت بأن فتحها وانتزاعها من بيزنطة عمل لابد منه تفرضه استراتيجية الفتوحات الإسلامية وصيانة الوجود الإسلامى من التهديدات البيزنطية التى اتخذت من صقلية قاعدة لها ومركزاً لاعتداءاتها (٢). لذلك تتابعت الحملات العسكرية عليها طيلة العصر الأموى واستمر ذلك فى العصر العباسى . وجهدت بيزنطة فى إعاقة الجهود العربية الإسلامية وعملت على تحصين الجزيرة وحمايتها ، ومنعها من السقوط فى قبضة العرب المسلمين ، حماية لمصالحها فى صقلية وفيما وراء البحار وانقاذاً لعاصمتها القسطنطينية من الانهيار أمام الضربات العربية الإسلامية المتلاحقة .

وكان أن قدمت أول حملة عسكرية بحرية إلى صقلية من بلاد الشام ، وربما انطلقت من طرابلس ، تحت إمرة معاوية بن حديج . ويؤكد الواقدى أن هذه الحملة وصلت صقلية ، وحققت بعض الانتصارات العسكرية ، وعادت محملة بالغنائم ، وكانت الحملة تستهدف احتلال الجزيرة ، وتواكب عمليات الفتوح الإسلامية (٣). ثم تتابعت بعد ذلك المحاولات العربية الإسلامية لفتح صقلية ، واستمرت أكثر من قرنين من الصراع العسكرى ضد بيزنطة التى غذته المصالح الاستراتيجية العربية الإسلامية ، وما تمتعت به صقلية من أهمية اقتصادية ، وموقع استراتيجى فريد وعسكرى كبير مؤثر فى تأجيج النزاع العربى البيزنطى ، فهى أحد

مفاتيح قلب البحر المتوسط ، والنافذة الكبيرة المطلة على إيطاليا ، والمتحكمة فى معظم الطرق التجارية ، والشرايين الفعالة فى البحر المتوسط ، هذا كله إضافة إلى خيراتها وإمكاناتها الزراعية والصناعية والمعدنية التى أشار إليها العلماء والرحالة العرب والفرنجة ، وأكدت عليها ، ووصفوها جميعًا ، بأنها بلد الخير والعطاء ، وفيها من الموارد الزراعية والصناعية ما أدهش الجميع وشد الانتباه . وصورتها أقلامهم بأنها مصدر رزق كبير ، ومفتاح خير عميم ، وهى تمتلك أنواعًا من السلع والمعادن التى تستخدم فى صناعة السفن كالأخشاب والحديد (٤ ، ٥).

وقد أردك العرب المسلمون هذه الأهمية الاستثنائية لجزيرة صقلية ، فهى تمكن البيزنطيين من الهيمنة الكاملة على النشاط التجارى فى المتوسط ، والسيطرة عليه، وإحكام القبضة على التجارة المتوسطية ، التى استغلتها بيزنطة ، واستخدمت الأسلوب السلبى ضد التجارة العالمية بهدف تحقيق مصالحها السياسية والعسكرية ، وعملت على شل التقدم الحضارى ، والتفاعل البشرى الإيجابى بين الشعوب .

ولقد حقق فتح صقلية مكاسب ونتائج كبيرة سياسية واقتصادية واجتماعية ، وحضارية عامة ، فانتهى الحكم البيزنطى فيها ، وغدت عربية يحكمها ولاة أفارقة تابعين للأغالبة ، ثم الفاطميين بعد ذلك وغدت فيما بعد قاعدة انطلاق مهمة تنطلق منها الهجمات البحرية والبرية على إيطاليا ، مما مكن هذه القوى العربية الإسلامية الأغلبية ثم الفاطمية ، من تحقيق السيادة على البحرين التيرانى والأدرياتى ، والسيطرة الفعالة على القسم الأوسط من البحر المتوسط حتى أصبح بعد ذلك من شرقه إلى غربه تحت السياة العربية الإسلامية ، وأصبح القول بأنه بحيرة عربية أمراً ممكنًا بعد أن بلغت القوى العربية الإسلامية أوج قوتها ونشاطها فيه .

وكما ساعدت السرايا العسكرية الإسلامية المتقدمة فى صقلية الأغالبة على تحقيق النصر ، باستفادتهم من التجارب الإسلامية السابقة ، فكذلك ورث الفاطميون هذا التراث كله ، بعد قيام خلافتهم فى المغرب . وشكل هذا التراث البحرى الموروث أرضية مفيدة ، وساعدهم على تلمس الأخطاء ، والابتعاد عنها ووضع الخطط الناجحة ، وتدعيم وجودهم فى صقلية ، والسيادة على الحوض الأوسط للبحر المتوسط . وبينما كانت القوة البحرية الأندلسية تساند الأغالبة وتقف إلى جانبهم فى فتح صقلية ، إلا أنها مع الأسف لم توظف فى العصر الفاطمى لصالح هؤلاء بل على العكس عملت ضدهم ، وتقويض نشاطهم البحرى ، وذلك لما كان بين

الدولتين من خلافات فى الرؤى والتوجه ، مما أثر بشكل سلبى فى الاستراتيجية العسكرية البحرية العامة الإسلامية وقد أضعف تلك الخلافات الجهد العربى الإسلامى ، والمجهودات البحرية ، وعملت [٦ ، ٧] على الحد من النشاط الفاطمى وإضعافه .

لقد تبنت الدولة الفاطمية العبيدية معارضتها للعباسيين [٨] ، وكان أتباعها الإسماعيليون يعتقدون بأنهم وحدهم أصحاب الحق الشرعى بالخلافة ، وبأن الأمويين - وكذلك العباسيين - مغتصبون لها . ولقد اتخذ عبيد الله لقب المهدى ليشير إلى أنه هو الشخص الذى أظهره الله بالحق ليُملك الأئمة الفاطميون الأرض كلها [٩] . وكان قيامها حدثًا مهمًا ، ومؤثراً فى التاريخ العربى والإسلامى إذ أصبح لدى المسلمين ثلاث خلافات إسلامية : عباسية فى بغداد ، وفاطمية فى المغرب ، وأموية فى الأندلس . ومما يؤسف له أنها تبنت من حواضرها معاداة بعضها بعضًا ، ودخلت فى نزاعات مستمرة ، ولم تتمكن من الاتفاق حتى فى اللحظات الحرجة التى كانت تمر بها الأمة الإسلامية من مغربها إلى مشرقها .

لقد عمل الفاطميون ضمن معتقداتهم ، واعتبار أنفسهم مسؤولين عن أقاليم الدولة وشعوبها ، وتوحيد المسلمين تحت سلطانهم ، وامتداد خلافتهم ، ووضح هذا التوجه التوسعى فى مناسبات عدة ، وأعطوا بذلك التوجه أسبابًا للخشية منهم ، والعمل ضدهم ، ومحاربة مشروعهم التوسعى بكل الوسائل ، ودخلوا فى نزاع مع الأمويين فى الأندلس والعباسيين ومؤيديهم فى كل مكان [١٠] .

ومن ناحية أخرى واجه الفاطميون فى بلاد المغرب صعوبات كبيرة ، وأعداء كثيرين ، وفى هذا الجو المعادى ، قامت الخلافة الفاطمية ، وكان عليها أن تأخذ كل ذلك بالحسبان ، وتعمل بجهد ضد قوى كثيرة مجتمعة أو متفرقة .

وهكذا إدراك الفاطميون أن استمرارهم ، ونجاح مشروعهم لايمكن أن يتم إلا بتبنى سياسة عسكرية برية وبحرية قوية تعمل مشتركة ، معتمدة أسلوب القتال وتأصيل فكرة الجهاد الذى كان على رأس أولوياتهم ، ودعمته بمجموعة من الإجراءات والخطط التى كانت تصب كلها فى هدف واحد، يعمل لتدعيم قوة الدولة وصيانتها والتصدى لأعدائها من الداخل والخارج معتمدة أسلوب الإقدام والجرأة ثم حزم الأمور ، والاستفادة من الوقت ، والأتباع والمخلصين ، وهذه السياسة التى استنها عبيد الله المهدى كانت المنهج السليم الذى سار عليه خلفاؤه من بعده ، فحافظوا على دولتهم وكتب لها البقاء والاستمرار [١١] .

وقد اهتم الفاطميون منذ قيام دولتهم فى المغرب اهتمامًا ظاهراً فى الشؤون الملاحية والبحرية ، وأعطوها الأولوية ، وفاقت مجهوداتهم فى العناية بالبحرية ، وفى الكفاح البحرى جهود كل من سبقهم من القوى العربية والإسلامية ، ودعموا قوتهم العسكرية البحرية والتى شغلت تفكيرهم منذ قيام دولتهم ، وتطلعوا منذ عهد المهدى (٢٩٧ - ٣٢٢هـ) (٩٠٩ - ٩٣٣م) لفرض هيمنة دولتهم ، وقوتهم على غرب البحر المتوسط والجنوب الإيطالى ، وغير ذلك من المناطق ، وتمكنوا من إيجاد قوة بحرية لم يسبقهم لها أية قوة عربية إسلامية ، وربما ساعدهم عى ذلك تأصيل الفكرة الجهادية عندهم بوصفها العنصر المهم فى سياستهم العسكرية ، ولأنها الركيزة الأساسية التى تقوم عليها العقيدة الإسماعيلية ، فساعدهم ذلك على شد الهمم والانتباه للعودة إلى مجد الفتوحات الأولى ، وقد أعطاهم العباسيون ، وما وصلوا إليه من ضعف وخنوع ، كل الحق فى تبنى هذا الشعار الجهادى إلى اعتبر ضروريًا لإنقاذ الموقف الإسلامى المتدهور والدفاع عن المصالح التى هددت فى كل مكان لاسيما فى الشام ومصر وجزر البحر المتوسط ، والتوسع البيزنطى فى الثغور ، والبحر المتوسط(١٢) وغير ذلك .

كل ذلك دفع الفاطميين لتقوية قوتهم البحرية ، وأدركوا ضرورة تنميتها فى حال رغبوا فى تحقيق هذه المطامع الطموحة ، التى لا يمكن النهوض بها إلا بقوة متفوقة برية بحرية فعالة ومتعاونة ، وقد تمكنوا من إعدادها بسرعة وأعطت ثمارها عبر مساهماتها فى جميع أوجه نشاط الفاطميين وتحركاتهم لاحتلال مصر(١٣) وإحكام قبضتهم على صقلية ، وغيرها من الأماكن التى خططوا لمد نفوذهم إليها .

وربما كان بناء المهدية ، وطريقة اختيار موقعها ، ومدى الاهتمام بتحصيناتها لتكون أكبر معقل بحرى فى الشمال الأفريقى ، أكبر دليل على اهتمام الفاطميين بالبحرية الإسلامية ، وتحقيق مخططهم البحرى الواسع الطموح ، الذى استند على قاعدة بحرية آمنت بفكرة قديمة متطلعة نحو البحر ، واعتقاد راسخ بأنه لابد من التوجه صوبه ، والاستفادة من الخبرات والتراث المغربى القديم ، وعلاقته الوشيجة بالبحر ، فتجلى ذلك من خلال تشييد المهدية على شاطىء البحر المتوسط ، وكان المهدى قد أدرك بحسه السليم ضرورة تشييد المهدية ، ولذلك كان أول حاكم عربى مسلم قام بمثل هذا العمل (١٤). واختار موقعًا استرايتجيًا مناسبًا يقع بين سوسة وصفاقس فى جزيرة متصلة بالبر فى سنة

٣٠٣هـ / ٩١٦م واختط مدينته الساحلية ، لإيمانه أن دولته لابد لها من الانفتاح على العالم الخارجى ، ولابد لها من أن تكون دولة جهادية لأن سواحلها كلها مناطق ثغور وجبهات قتالية، وهذا ما يفسر مدى اهتمام الفاطميين بالأساطيل البحرية وقواعدها ومراسيها ، وتعددها ، وساعدهم على ذلك استفادتهم من التراث المغربى الموروث فى هذا المجال .

ولقد أفاضت المصادر العربية الإسلامية بوصف المهدية ، وركزت على أهميتها البحرية وأسلوب تشييدها ، ووصف أسوارها ، وبواباتها الضخمة ، ومدى التحصينات المرتبطة بالمرسى ، ودار الصناعة ، وإنجاز كل ذلك باتقان لأنه أقيم تحت إشراف المهدى نفسه وحسب توجيهاته ، وهذا ما مكن المهدية من أن تفوق جميع المدن الإسلامية التى سبقتها منعة وتحصينًا ، وشكل قيامها توافقًا مع أهداف الفاطميين وتطلعاتهم التوسعية ، وقد أبدى المهدى ارتياحه واطمئنانه عندما انتهى من إعمارها والإقامة فيها فى سنة ٣٠٨ هـ / ٩٢٠م بقوله : " الآن أمنت على الفاطميات " ولم يكن يقصد حماية بناته ، وقريباته فحسب ، وإنما كان يتطلع إلي أنها ستحمى دولته ، وتحافظ على قوتها وتوطيد أركانها ، واطمأن بعد ذلك إلى قدراته العسكرية البحرية وتحقيق النصر . ومواجهة جميع القوى المعادية من الداخل والخارج ، ولقد كثر الكلام عن هذه المدينة ، وجاء بعضها على شكل أسطورى ، وفاق ما قيل ونسج من بناء الحواضر الإسلامية الأخرى (١٥). وأكدت المصادر القديمة والدراسات الحديثة على عمق توجهات الفاطميين وسعيهم الدؤوب للاهتمام بالبحرية والدواقع التى كانت خلف هذه العناية ، وبينت أن التصدى للثورات الداخلية والخارجية ، والتطلع للتوسع كان خلف قيام البحرية الفاطمية ، ونشاطها ، وكثرة أدواتها الحربية ومراكبها المتنوعة (١٦)، وكثرة التوقيعات والرسائل حولها ، وتشييد دور الصناعة فى كل من سوسة ، والمنصورية وغيرهما ، ومتابعة الخلفاء لكل هذه الأعمال ابتداء من تأمين المواد الأولية حتى انطلاقة السفن بحراً ، وتعيين أمر قيادتها والاهتمام بموظفيها ، كبار وقادة عظام .

كما وضعت تحت تصرف هذه البحرية المواد اللازمة لصناعتها ، من أخشاب وحديد ، وألياف ، وقطران ، ونفط ، وكبريت ، وغير ذلك من مواد وسلع لابد منها لتجهيز الأسطول وإعداده الإعداد الجيد للقتال البحرى الشائك ، ولقد توفرت هذه المواد فى بلاد المغرب وفى صقلية بكثرة (١٧)، ومن أهمها الخشب ومعدن الحديد والألياف الخاصة بالحبال وكذلك القطران والزفت ، ثم النفط والكبريت المستخدم فى القتال البحرى ، واستخدم هذا السلاح الذى كان

يسمى النار الإغريقية منذ سنة ٢٠٠ هـ / ٨٣٥م فى عصر الأغالبة ، واستخدمه الفاطميون فى هجماتهم فى البحر التيرانى سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥م واحرقوا السفن المعادية ، ولم يعد هذا السلاح سراً وقفًا بعد ذلك على بيزنطة وسلاحًا فتاكًا بيدها (١٨).

كما شكلت المراسى والقواعد البحرية العديدة فى الشمل الأفريقى ستاراً أماميًا للسواحل الفاطمية الأغريقية ، وقد أفاضت بذكرها الأبحاث ، ولفتت الانتباه إلى أهميتها البحرية ، كما أكدت الدراسات على صقلية وأهمية مراسيها أمثال مسينى ، وطبرمين ، وقطانية ، وسرقوسة ، وجرجنت ، وطرابنش ، وبرطنيق وغيرها ، وهذه الأماكن تذكرنا بوقائع عسكرية مروعة تعاركت فيها السفن ، وأريقت الدماء ، وهذه القواعد والمراسى ، وضعت تحت تصرف الفاطميين وسيطرة قواتهم ، وساهمت بشكل فعال فى نشاط قوتهم البحرية ، وساعدتها فى تفوقها ، وحققت لها النصر على البيزنطيين وحلفائهم من روم وفرنجة وغيرهم (١٩).

كما أمنت سيطرة الفاطميين على معظم الجزر البحرية المتوسطية المواجهة للسواحل الأفريقية الحامية للمدن والثغور الأفريقية الفاطمية ، وعلى رأس هذه الجزر صقلية ، وسردانية ثم قرشقة، ومالطة وغيرها من الجزر العديدة الصغيرة ، والتى كانت تحرس وتحمى السواحل وتشكل نقاط إنذار سريعة ومتقدمة ، تدفع عنها عامل المفاجآت ، كما عملت هذه الجزر على تدعيم الجهود الملاحية والبحرية الفاطمية ، ومنحتها فرص النصر ، وقوة السيطرة على غرب المتوسط جنوة ، والتأثير فى أحداثه (٢٠)، والمهم من كل ما تقدم أن الفاطميين ورثوا التراث المغربى الطويل الذى منحته الطبيعة لسواحلها ، وجعلت منهم شعبًا لا يمكنه الاستغناء عن البحر ، وإدارة ظهرهم له ، ولذلك صار أهله من أنشط الأمم البحرية ، واستمر ذلك عبر العصور ، وأدرك العرب هذا التوجه ، واستغل الفاطميون ذلك أحسن استغلال ، وطوروا بحريتهم ، وتنبه إلى هذا التوجه البحرى عند شعوب المغرب العالم والمؤرخ الاجتماعى الأول ابن خلدون ، وفهم مدى تأثير هذا الساحل الأفريقى على طبيعة أهله ، وزيادة تمرسهم بالأمور البحرية (٢١)، وهذا الموروث أمن لهم نشاطًا اجتماعيًا واقتصاديًا ، وظهر أكثر ما ظهر بعد عمليات الاستقلال فى المغرب ، التى تعمقت أثناء حكم الفاطميين ، وساعدهم ذلك ، بحيث وصلت بحريتهم إلى الذروة فى دورها المغربى ، ودعمت بعد احتلالهم جزيرة صقلية ، وبعض الأماكن فى الجنوب الإيطالى والجزر الأخرى أمثال مالطة وسردانية وقورشقة وغيرها ، ثم تابع نشاطهم البحرى تفوقه .

وسوف نستعرض أهم أوجه نشاط الفاطميين فى غرب المتوسط ، وتحركاتهم العسكرية على الطبيعة ، ونحاول التعرف على أهداف هذا النشاط وطبيعته وما كان يرمى إليه من فوائد مادية ومعنوية .

لقد ورث الفاطميون من جملة ما ورثوه فى المغرب العربى عن الأغالبة جزيرة صقلية ، والتوجه الجهادى إليها ، وحماية المصالح الإسلامية فى الجنوب الإيطالى ، ولم تكن الأحوال الإسلامية فى صقلية مطمئنة ، ولم يكن التحول الإسلامى فيها قد اكتمل بعد ، كما كان قد نشأ فيها أسر تخصصت فى الحكم ، وخبرت أمر الجهاد فيما وراء البحار وورثته . كما استهوتها السلطة ومغرياتها ، ونمت عند بعض الأفراد فكرة الانفصال والاستقلال والتفرد فى الحكم بهذه الجزيرة المنشقة على نفسها عرقيًا ومذهبيًا ما بين عرب وبربر نشبت الحروب فيما بينهم ، وتعمق الخلاف فى النفوس ، بينما كانت بيزنطة خلال عهد الإمبراطور باسيل الأول (٢٥٤ - ٢٧٣هـ (٨٦٧ - ٨٨٦م) تحشد قوتها البحرية ، واستعادت نفوذها فى مدينتى بارى وطارنت ، ودعمت سيطرتها على قلورية وأبوليا ، وأعادت فرض سيطرتها عى مجموعة المدن الكمبانية ، وعلى رأسها نابلى وجانيا ، وامالفى بحيث لم يبق تحت القبضة الإسلامية سوى إمارة مونت جاريلبانو الموجهة ضد الريف الإيطالى الجنوبى ، وهيأت الاضطرابات التى حدثت فى أفريقية وصقلية الفرصة لإخراج المسلمين من معظم القواعد(٢٢) المهمة فى صقلية .

وسار الفاطميون منذ بداية نفوذهم فى صقلية على نهج الأغالبة فى الجزيرة فاتخذوها مقراً وقاعدة انطلاق ، تثب منها قواتهم باتجاه إيطاليا ، ولقد كان آخر ولاة الأغالبة فى الجزيرة ، أحمد بن أبى الحسين بن رباح ، ولم يكتب له البقاء طويلاً فى منصبه ، حيث وصلت أخبار انتصارات الداعى أبو عبد الله الشيعى على زيادة الله الثالث الأغلبى فما كان من الأهالى فى صقلية إلا أن ثاروا على واليهم وحبسوه ، ونصبوا على الجزيرة على بن أبى الفوارس فى رجب سنة ٢٩٦ هـ / أبريل ٩٠٧م ، ثم أرسلوا الوالى المخلوع إلى رفادة ، وكتبوا يطلبون من أبى عبد الله الشيعى تثبيت أبى الفوارس ، فوافقهم على ذلك ، واشترط عليهم أن يقوم بواجب الجهاد براً وبحراً . وما إن هدأت أحوال الداعى ، حتى وجه كتبه إلى الأقاليم يدعوها إلى الطاعة ، وكذلك أرسل خطابًا إلى صقلية ، حض فيه أهلها على الجهاد ، وجاء فيه : " وأنتم معشر أهل جزيرة صقلية ، أحق بما أوليته من المعروف والإحسان ، وأسديته ، وأولى به وأقرب إليه ، لقرب داركم من دار المشركين وجهادكم الكفرة الظالمين ، وسوف أملأ إن شاء الله

جزيرتكم خيلاً ورجالاً من المؤمنين الذين يجاهدون فى الله حق جهاده ، فينصر الله الدين والمسلمين ، ويذل بهم الشرك والمشركين " (٢٣).

هكذا بدأت العلاقة بين أهالى صقلية من المسلمين والفاطميين ، وهى توضح ميل المسلمين فى الجزيرة إلى الاستقلال ، وحاجتهم إلى القوة التى تساندهم على أعدائهم المتربصين بهم ، لهذا سرعان ما اتجهوا إلى الفاطميين وقوتهم المنتصرة فى بلاد المغرب ، وأكد هذا التوجه فى العلاقات خطاب الداعى الشيعى قبل اعتلاء المهدى سدة الحكم .

وما إن بويع عبد الله المهدى بالخلافة حتى أقدم على تعيين زعماء قبيلة كتامة على أمر الولايات فى دولته ، وأرسل إلى صقلية " أحمد بن جنزير " (٢٩٧ - ٢٩٩هـ) (٩٠٩-٩١١م) أحد قادة كتامة واليًا يتولى أمرها ، فوصلها هذا فى ذى الحجة(٢٤) سنة ٢٩٧هـ / ٩١٠م ثم تتابع بعد ذلك أمر تعيين ولاة صقلية من الحاضرة الفاطمية فى المغرب ، وكان أول عمل لهذا الوالى على طريق الجهاد تصديه لإخماد ثورة فى سنة ٢٩٨ هـ / ٩١١م قام بها النصارى فى مدينة دمنش فى إقليم قلورية ، فعاثت القوات فساداً هناك . ثم رجعت محملة بالغنائم ، ولم يغفر له جهاده -وفشله فى إدارة الجزيرة- فثار عليه أحرار مدينة بلرم وخلعوه ، وكتبوا بذلك للمهدى ، فعين عليهم " على بن عمر البلوى " (٢٩٩ - ٣٠٠هـ) (٩١١ - ٩١٢م) ، وربما أنف المسلمون العرب أن يحكمهم رجل من المغاربة البربر ، بالإضافة إلى أخذه بالمذهب الإسماعيلى ، وطرحه لمذهبهم المالكى . فرمى بالاستبداد وسوء السيرة .

كما تابع الوالى الذى تلاه أحمد بن زياد الله بن قرهب أو (قرعب) (٣٠٠ - ٣٠٤ هـ) (٩١٢ - ٩١٦م) جهاده وهجماته على قلورية قبل أن يعلن ثورته ضد الفاطميين، وينقض بيعتهم - فى الجزيرة . وبعث بحملة صغيرة إلى كلابريا (قلوية) سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢م ، ثم عادت الحملة كسالفتها محملة بالغنائم والأسرى (٢٥).

ثم استأنف الفاطميون حملاتهم العسكرية فى صقلية بعد القضاء فيها على التمرد الذى قاده ابن قرهب ما بين ٣٠٠ هـ / ٩١٢ إلى ٣٠٤ هـ / ٩١٦م ، والهدف منه الاستقلال عن الخلافة الفاطمية وعن أفريقية ، ومحاولة إعادة حكم الأغالبة فى صقلية ، وخاصة أنه كان أغلبيًا(٢٦) ولم تكن تبعيته للخلافة العباسية إلا تبعية اسمية .

انطلق الفاطميون فى سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٨م من صقلية ، وكان هدفهم مدينة " ريو " فى قلورية ، وحققوا نصراً عسكريًا هناك ، وأجبروا حاكمها على الالتزام بتجديد الهدنة ، ودفع

اثنين وعشرين ألفًا من القطع الذهبية كل سنة مقابل الحفاظ على أمن بلاده ، وذلك بموجب الاتفاق والمعايشة أو حسن الجوار مع العرب المسلمين، وهذا كان معقوداً مع كبار القادة والبطارقة فى كلابريا (قلورية) وفى جنوب إيطاليا ، فى حال عدم تمكن هؤلاء من صد الهجمات العربية الإسلامية عنهم . وهذه الإجراءات أدت إلى زيادة الضرائب على المواطنين فى كلابريا وغيرها ، وأدت إلى قيام ثورات منها تلك التى قامت ضد البطريق جان " موزالون " وقتله فيما بين ٣٠٨ هـ و ٣١٠ هـ / ٩٢٠ م و ٩٢٢م ، وتوافق هذه الثورة ، تعرض بلاد اللومبارد، وكلابريا لهجمات الأساطيل الفاطمية من المهدية ، وصقلية ، ونشاط البحرية الفاطمية فى تلك السنين (٢٧).

وقد رحبت الدولة البيزنطية بعقد الصلح السابق ذكره مع العرب المسلمين فى صقلية لانشغالها فى الحروب البلغارية (٢٨)، والحروب مع القوى الإسلامية فى شرق المتوسط ومياه بحر إيجة المجاورة لجزيرة كريت . غير أن هذا الصلح لم يحترم ، ولم يكتب له الاستمرار. وكعادة بيزنطة وحلفائها من الإيطاليين ، كثيراً ما كانوا يقومون بنقض أى حلف مع المسلمين ، عندما تسمح ظروفهم بذلك ، لذلك استؤنف النشاط البحرى باتجاه قلورية فى سنة ٣١٠ هـ / ٩٢٢م وأقدم القائد الفاطمى " مسعود الفتى " وهاجم مدينة " شنت اغاثى " القريبة من "ربو"، واجتاحتها قواته ، وعاد إلى المهدية محملاً(٢٩) بالغنائم والأسرى .

وتتابعت الحملات العسكرية الفاطمية باتجاه الجنوب الإيطالى ، فقامت حملة سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م بقيادة الحاجب الوزير " جعفر بن عبيد " ويبدو أنها لم تخرج فى وقت ملائم ، ولهذا فقد عادت من بلاد الروم ، دون أن تتمكن من تحقيق أهدافها ، فى حين تورد بعض المصادر أن جعفر الحاجب استولى على بريصانة (٣٠).

ثم أمر المهدى بتكثيف الجهود البحرية ضد جنوب إيطاليا ، وتجلى ذلك بقيام حملة مزدوجة باتجاه إيطاليا سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥م ، قامت إحداها من صقلية بقيادة أميرها سالم بن أبى راشد (٣١٣ - ٣٢٥هـ) (٩٢٥ - ٩٣٦م) والثانية انطلقت من المهدية بقيادة الحاجب " جعفر بن عبيد " وعلى الرغم من التنسيق الظاهر فيما بينهما فإن كلاً منهما اتجه فى طريق خاص ، وكان محور حملة بلرم باتجاه اللومبارد حيث تمكنت من فتح مدينتى غيران ، وأبرجه ، وغنمت مغانم كثيرة ، ثم عادت الحملة بعد ذلك نحو " كلابريا " وفتحت طارنت عنوة ، ثم عرجت باتجاه " ادرنت " ولما لم تتمكن من فتحها ، أقدمت على تخريبها وهدم منازلها . ثم عادت هذه الحملة إلى صقلية بعد تعرضها لوباء أصاب مقاتليها .

أما الحملة التى انطلقت من المهدية بقيادة الحاجب جعفر ، فقد أخذت محور تارنت ، واجتاحت مدينة " أورية "(٣١) وقتلت الألوف من رجالها ، وسبت عشرات الألوف من نسائها ، وكان من بين الأسرى أحد البطارقة الذى دفع خمسة آلاف دينار عن نفسه ومدينته ، وأثناء عودة الحاجب جعفر إلى صقلية عبر " كلابريا " وهادن أهلها ، فدفعت له الجزية ، واصطحب معه رهائن مهمين بينهم أسقف صقلية ، وحاكم قلورية " كلاريا " ، وبعد أن عرج على صقلية لإصلاح أحوالها ، وأخبر المهدى بالغنائم الوفيرة ، التى قال المهدى عنها بأن قائده جعفر لم يعطه من " الجمل إلا أذنه " كما أرسل المهدى فى سنة ٣١٤ هـ / ٩٢٦ م إلى صقلية شيوخًا من المهدية برفقة الوالى سالم ، فقاموا بجباية الضرائب من أهلها دون ذكر للأسباب والتفاصيل(٣٢).

وفرضت هذه الانتصارات التى تحققت إثر هذه الحملة المزدوجة سنة ٣١٣ هـ / ٩٢٥م أمراً واقعًا ووجد حاكم قلورية أن المصلحة والحكمة تقضيان أن يقوم بتجديد الهدنة وعقد الصلح الذى تضمن دفع الجزية وقدرها أحد عشر ألف قطعة ذهبية (٣٣).

ثم أسند الخليفة الفاطمى المهدى ، أمر الأسطول إلى الفتى الصقلبى " صابر " وأمره على رأس جيش كبير طالبًا منه سرعة الهجوم على السواحل الإيطالية الجنوبية ، فقام هذا الفتى بثلاث حملات متتالية خلال الأعوام ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ هـ / ٩٢٧ و ٩٢٨ و ٩٢٩م ، اتجهت الأولى إلى صقلية ، حيث انطلقت إلى الجنوب الإيطالى ، وفتحت أماكن عديدة منها : اوترنتوه Otrente أما حملة صابر الثانية فكان هدفها السواحل التيرانية من جنوب إيطاليا ، وهاجمت " الفيران " وقلعة الحسب ، وأخذت ما فيهما ، وتابعت توجهها إلى " ساليرنو " فصالحها أهلها على فدية من المال والديباج ، ثم أقلعت إلى نابولى ، وصالحتها على نفس الشروط السابقة . وعرج صابر قبل عودته إلى كلابريا فعقدت معه هدنة سنوية ، مقابل مقدار من المال . أما الحملة الثالثة للفتى صابر سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩م ، فهى عبارة عن غارة صغيرة، تقدمت باتجاه البحر الأدرياتى وهزمت السفن الرومية بقيادة حاكم كلابريا "سرذغوس"، ثم تقدم صابر مقتحمًا مدينة " ترمولة " وأخذ منها سبيًا كثيراً قدر باثنى عشر ألفًا ، قبل العودة إلى المهدية (٣٤). وتذكر بعض المصادر بأن القوات المشتركة الصقلية والمغربية بقيادة الأمير سالم بن راشد ، والقائد الفتى صابر الصقلبى الذى كلفه المهدى سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩م، بالاستيلاء على مدينة طارنت وادرنت قامت بالمهمة وتمكنت بمساعدة سالم

من تحقيق النصر ، ولذلك أجبرت قلورية على دفع الجزية التى استمرت تسددها طيلة حكم المهدى (٣٥).

بدأ عهد القائم الفاطمى (٣٢٢ - ٣٣٤هـ) (٩٣٤ - ٩٤٥م) ، بحملة عسكرية بحرية قادها يعقوب بن اسحق التميمى انطلقت من المهدية فى رجب من عام ٣٢٢ هـ / ٩٣٤م ، وذلك فى السنة الأولى من حكم القائم ، واتجهت الحملة لغزو بلاد الروم ، وصادفت الحملة فى طريقها مراكب للروم فأخذت تجارتهم ، وأسرت من فيها ، وتقدم يعقوب صوب مدينة جنوة ، وقاتل أهلها قتالاً شديداً ، واضطروا للاحتماء بسور المدينة ، فشدد عليهم الزحف حتى فتحها وسبى من فيها ، وغنم منها البز والحرير والكتان ، ثم أقدم على حرقها ، ثم غادر الأسطول الفاطمى المدينة ، بعد أن انتشرت أصداء هذه الغزوة بين المسيحيين والمسلمين ، ومر فى طريقه على سردينيا ، وقرقيسيا (٣٦).

اضطربت أحوال الجزيرة بدءاً من عام ٣٢٥ هـ / ٩٣٦م واستمر ذلك إلى سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧م ، وتحركت الفتنة نتيجة لسوء سيرة الوالى سالم بن أبى راشد ، وثارت جرجنت ، وبلرم وزاد العصيان فى سنة ٣٢٧ هـ / ٩٣٨، بعد تدخل الإمبراطور البيزنطى رومانوس الأول (٣٠٧ - ٣٣٣ هـ) (٩٦٩ - ٩٤٤م) فجاءت نجدة فاطمية من المهدية مساندة لسالم بقيادة خليل بن اسحق ، الذى ضرب المتمردين بعنف وقسوة ، وأجبر الكثرين على الفرار إلى بلاد الروم حيث تنصر بعضهم (٣٧)، وأقدم على هدم تحصينات بلروم وأزالها وبنى قاعدة جديدة بديلة عنها وهى عبارة عن قلعة حصينة عرفت بالقصبة ثم أطلق عليها " الخالصة " .

أما المهدية فكانت تنوء تحت ثورة هزت الكيان الفاطمى وهددته بالأفول وهى ثورة أبى يزيد مخلد الخارجى ، ولهذا لا نستغرب أن يصاب النشاط الفاطمى البحري فى غرب المتوسط بالضعف حتى القضاء على الثورة فى سنة ٣٣٦ هـ / ٩٤٧م .

وما إن تخلص الخليفة الفاطمى المنصور (٣٣٤ - ٣٤١هـ) (٩٤٥ - ٩٥٢م) من ثورة أبى يزيد الخارجية فى المحرم من سنة ٣٣٦ هـ / يوليو ٩٤٧م ، حتى استبدل الوالى ابن عطاف (٣٢٩ - ٣٣٦هـ) (٩٤٠ - ٩٤٧م) بقائد آخر مجرب شحذته الأحداث وتمرس بالقتال وفنونه وعينه على صقلية وهو الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى (٣٣٦ - ٣٤١هـ) (٩٤٠ - ٩٥٢م) وهو مقدم الأسرة الكلبية ، ومن أخلص أنصار الدولة الفاطمية وكبار قوادها ، وكان أبوه من أعوان الدولة الفاطمية فى صقلية وقتل أثناء أحداث سنة ٣٢٧هـ /

٩٣٧م، فى ثورة جرجنت على الفاطميين. ولقد وفق المنصور فى هذا الاختيار ، حيث أثبت الحسن أنه على قدر مسئولية وقيادة صقلية وإدراك قضاياها الاستراتيجية الخارجية ومشاكلها الداخلية السياسية والعرقية والمذهبية ، وكانت إمرته عليها بداية عهد جديد فى تاريخها . فإليه يرجع الفضل فى إصلاح أحوالها ، وضبطها ، وتكوين أسرة حاكمة فيها تناوبوا أمرها، ورفعوا من الشأن الفاطمى، وجعلوها من أقوى القوى البحرية الكبرى فى المتوسط برفعيه الغربى والشرقى، وكان لشخصية الحسن الأثر فى محبة الصقليين والتفافهم حوله، وتمكن من أن يقضى على الفتن ويتغلب على مقاومة العصبيات القوية التى يأتى على رأسها بنو الطبرى، الذى فرض عليهم عقوبات قاسية(٣٨).

فرض الحسن الكلبى هيبة الحكم الفاطمى فى صقلية ، مما اضطر الروم لتقديم مال الهدنة المتراكم عليهم منذ ثلاث سنوات، وكانوا قد امتنعوا عن دفعه للوالى الفاطمى سالم ابن راشد ، ثم مد الحسن نفوذه باتجاه كلابريا والجنوب الإيطالى بعد أن كان قد استقر لصالح بيزنطة أثناء الحروب فى الجزيرة فى أواخر حكم سالم بن رشاد وفترة تسلم خليل بن إسحق زمام فى صقلية(٣٩).

بدأت الاستعدادات والتنافس يتصاعدان فى الجنوب الإيطالى، وجاءت الإمدادات العسكرية من المهدية يقودها الفتى فرج مولى المنصور، واتجهت القوات الفاطمية بتشكيل عسكرى برى وبحرى إلى مسينا، ثم إلى «ريوه» أوريه وانهزمت قواتها، فتحركت الجيوش إلى قلورية (كلابريا) وحاصرت مدينة جراجة ، وأجبرتها على الصلع ودفع الفدية المالية للحسن الكلبى ، الذى أسرع بقواته نحو الروم الذين اعتصمت قواتهم فى مدينة بارى (باره)، واستقر حول مدينة قسانه ، متخذاً منها مركزاً للقيادة والإشراف على إدارة العمليات العسكرية ، وانتهت الأحداث بسرعة حيث عقد صلح سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م وعادت قوات الحسن فى إثره إلى مسين ورابطت فيها ، وانتقل هو إلى بلرم، منتظراً تحسن الأحوال الجوية للانقضاض بقواته على جراحة حيث التجمع الكبير للقوات الرومية التى تتأهب للقتال فالتحمت القوتان فى شهر ذى الحجة من سنة ٣٤٠هـ / ٩٥١م بمعركة حاسمة انتصرت فيها الثوات الفاطمية انتصاراً ساحقًا ، وهزم التجمع البيزنطى الرومى الإيطالى، وانتهوا بين قتيل، وهارب وأسير (٤٠)، وكثرت الغنائم ، وفتحت الحصون ومنها رمنسة، ولطرة، وأرسلت الأعداد الكبيرة من السبايا إلى المهدية وكان بينهم قائد الأسطول الرومى الذى صلب فيها(٤١).

وفى سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢م قصد الحسن الكلبى جراجة ، وحاصرها ، مما أجبر الإمبراطور البيزنطى قسطنطين على إرسال مبعوثه " جان بلاطوسى " إلى الخليفة الفاطمى المنصور بالله بشأن طلب الهدنة ، بعد هذه الانتصارات المظفرة للقوات الإسلامية فى قلورية ، وقابل هذا المبعوث الخليفة المنصور فى عاصمته الجديدة المنصورية ، وتقبل منه هداياه ، وكتب إلى جوذر ومولاه ووالية على المهدية ، أن يكافىء السفارة بأحسن ما قدمته ، وأوكل إلى واليه على صقلية الحسن بن على الكلبى ، مفاوضة المبعوث البيزنطى بشأن طلب الهدنة ، ووقعت الهدنة بين الطرفين ، وكان من أهم شروطها بناء مسجد فى مدينة " ريو " Reggio ، بكلورية ، وتعهد البيزنطيون بالمحافظة عليه ، والسماح لأسرى المسلمين(٤٢) بأداء الصلاة فيه وأن يكون ملجأ آمنًا لأسرى المسلمين ، وبعد ذلك عاد الحسن إلى صقلية ، حيث وصلته الأخبار بوفاة الخليفة المنصور فى شوال سنة ٣٤١هـ/ فبراير ٩٥٣م، وقيام خلافة المعز (٣٤١ - ٣٦٥ هـ) (٣٥٢ - ٩٧٥م) ، فنزل صقلية متجهًا إلى المهدية ، وأبقى على الجزيرة ولده أبا الحسين أحمد بن الحسن بن على الكلبى (٣٤١ - ٣٥٣هـ) .

أقر الخليفة الفاطمى المعز أحمد بن الحسن بن على الكلبى على صقلية ، وهكذا تحول الحكم فيها إلى حكم وراثى فى بنى أبى الحسين الكلبى ، وعرفت صقلية والأقاليم الواقعة تحت النفوذ الفاطمى فى قلورية والجنوب الإيطالى الهدوء النسبى والاستقرار لعدة أعوام فى ولاية أحمد .. وقد يكون ذلك متعلقًا بالأوضاع الداخلية لكل من بيزنطة والخلافة الفاطمية ، ولم تنته سنة ٣٤٤ هـ / ٩٥٦م حتى أقدمت بيزنطة على نقض الاتفاق السابق ، وأرسل الإميراطور البيزنطى قواته التى تمكنت من احتلال بعض القلاع فى صقلية ، وأرسل الإمبراطور البيزنطى قواته التى تمكنت من احتلال بعض القلاع فى صقلية ، منتهزة وضع المعز الداخلى ، ومحاولته استكمال السيطرة على بلاد المغرب ، وما إن استقرت أمور الفاطميين ، حتى تحركت قواتهم باتجاه صقلية ، بهدف إعادة الهيمنة الكاملة الفاطمية عليها ، وعلى ما وراء البحار فى الجنوب الإيطالى ، وضمن هذا التوجه انطلقت قوة فاطمية فى عهد أبى الحسين أحمد إلى صقلية من أفريقية بقيادة عمار بن على بن أبى الحسين الكلبى سنة ٣٤٥هـ / ٩٥٧م ، ونزل الأسطول الفاطمى فى بلرم ، منطلقًا فى الصيف إلى الجنوب الإيطالى ، وهكذا عادت الحروب بين القوتين البيزنطية والفاطمية وحققت القوات الفاطمية بعض الانتصارات ، وهذا ما يفسر وصول سفارة بيزنطة إلى المنصورة سنة ٣٤٥هـ ، ولم يستجب الخليفة لهذه

السفارة وطلب من قواته مهاجمة الأسطول البيزنطى عند سواحل صقلية ، فدحر البيزنطيين إلى (قلورية) بعد هزيمتهم(٤٣) ، وجاء فى العام التالى سنة ٣٤٦ هـ / ٩٥٧م إلى المنصورة سفير بيزنطى يحمل الهدايا والأموال الكبيرة ويبلغ الخليفة رغبة الإمبراطور البيزنطى قسطنطين السابع (٣٠١ - ٣٤٨هـ) (٩١٣ - ٩٥٩م) ، فى وقف الغارات الإسلامية على أرض قلورية ، ويتعهد بدفع الجزية ، وإطلاق أسرى المسلمين فى المشرق(٤٤) ، فقبل الخليفة ، ورأى فى ذلك صلاحًا للدين والمسلمين .

ولم يكن البيزنطيون يلتزمون بالعهود إلا إذا كانت لصالحهم ، أو فى حال عجزهم عن المواجهة ، ولهذا نراهم يتحركون فى صقلية والجنوب الإيطالى ، وفى هذا الإطار قام ضابط بيزنطى باقتحام ريوه ، وهدم المسجد فيها ، ومهاجمة الشواطىء الصقلية ، والاستيلاء على مدينة ترميني Termini ، فتحركت القوات الفاطمية بقيادة أبى الحسين أحمد فى سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م وعبر مضيق مسينا إلى كلابريا والتقى أبو الحسين مع عمه عمار ، واتجها بقواتهما للقاء قوات " كلابريا " الذى هرب أمامهم بعد أن أخذ بعض سفن المسلمين (٤٥) ، واستمرت المناوشات الحربية بين الطرفين فى الأعوام التالية . إلي أن جاءت فى سنة ٣٥١هـ / ٩٦٢م فاشتركت القوات الفاطمية فى صقلية والمغربية الفاطمية فى حصار قلعة طبرمين الجديدة واستمر الحصار مدة سبعة أشهر تم خلال قطع الماء عنها فأجبرت على طلب الصلح ، وتحولت بعد أن سكنها المسلمون إلى مدينة فاطمية ، وأمر المعز بتسميتها المعزية تيمنًا به(٤٦) ، وأرسل بالكثرة من أسراها إلى المهدية فى أفريقا .

وربما كان التوجه الفاطمى يهدف إلى تحويل المنطقة الجنوبية الجبلية وجنوب مسينى إلى منطاق إسلامية ، وتحويل المدن المسيحية إلى مدن خاضعة للمسلمين ، والعمل على نشر الإسلام فى جميع المناطق ، عن طريق زرع المستعمرات الإسلامية ، وعلى غرار ما حدث فى طبرمين التى صودرت أملاك أهاليها ، وحول اسمها إلى المعزية ، وهذا ما أكده المؤرخ الفرنجى جى .

كما تمكن الأمير أحمد من استعادة رمطة وهى مدينة هامة فى صقلية تبعد عن مسنين تسعة أميال ، بعد أن كانت قد خرجت عن طاعة والى صقلية ، وطلبت النجدة من الإمبراطور البيزنطى نقفور فوكاس (٣٥٢ - ٣٥٩هـ) (٩٦٣ - ٩٦٩م) ، فأرسل إليها نجدة تقدر بأربعين ألفًا بقيادة البطريق نقيتاس ، وإلى جانبه مانويل ابن أخى الإمبراطور ، وقائد فرقة

الخيالة ، وتلقى أحمد قوة فاطمية من المهدية قادها والده الحسن الكلبى ، واستلم قيادة القوات الفاطمية التى تولت مهاجمة رمطة وحصارها بقيادة الحسن بن عمار بن على الكلبى ، وحدثت المعركة الحاسمة ، وكان البيزنطيون مقتنعين بحتمية النصر بسبب كثرتهم ، لكن البسالة الإسلامية ، والخطط المفاجئة قلبت نتيجة المعركة ، وتحقق النصر للقوات الفاطمية ، وقتل مانويل ، وارتبك الجنود البيزنطيين وسقطوا فى حفرة ، وقتل بعضهم بعضًا ، ثم هوجمت رمطة وفتحت فى سنة ٣٥٣ هـ / ٩٦٤م ، وتتبع المسلمون الجنود المنهزمين ، وغنموا من السلاح والخيل وصنوف الأموال ما لا يحد (٤٧).

واستثمر المسلمون هذا النصر فلاحقوا القوات البيزنطية التى تجمعت من جيش ماتويل ، أخذت معها من وجدته من روم صقلية ، وجزيرة ريوه ، وغيرهم لمواجهة المسلمين ، وتحصنت فى البحر انتظاراً للحظة الحاسمة وما سيتم تقريره ، ولهذا سارع الأمير أحمد وزحف لقتال هذا التجمع فى البحر ودارت معركة بحرية أظهر فيها الصقليون كفاءة عالية فى القتال البحرى حيث نزل بعض الغطاسة ، ونقبوا السفن المعادية ، فغرق معظمها ، وقتل الكثير من رجالها ، ولم يكن أمام الروم إلاّ الانسحاب والاعتراف بالهزيمة التى عرفت باسم وقعة المجاز ، ولم يكن أمام المدن الإيطالية إلا طلب الهدنة من جديد سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م ، وتم لهم ذلك مقابل دفع الأموال والفدية المتفق عليها (٤٨).

وقبل مغادرة المسلمين رمطة تركوا فيها حامية من أجل حمايتها ، وإعمارها لمنع الروم والنصارى من العودة إليها ، كما فعلوا فى طيرمين ، وقد اعتبر بعض الباحثين الفرنجة هذا الإجراء من مسلمى صقلية ولاسيما الوالى أحمد بن الحسن بن على الكلبى محاولة لإزاحة البقية المتبقية من المسيحيين فى صقلية ، وإنشاء مستعمرات إسلامية مكانها بهدف نشر الإسلام فيها ، وهذا ما يتفق مع سياسة المعز الدينية فى نشر الإسلام والمذهب الإسماعيلى ، وهو ما حاول تنفيذه الأمير الصقلبى (٤٩).

بعد هذا النصر الحشدى الذى تحقق فى وقعتى الحفرة والخندق والمجاز - اتجهت المدن الإيطالية والقوى الرومية إلى طلب الصلح وتحقق لها ذلك فى سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥م ، بعد دفع الأموال المفروضة ، كما أجبر نقفور فوكاس المقاتل العنيد ضد المسلمين على طلب الصلح، وعقد مع الخليفة الفاطمى المعز لدين الله سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٦م اتفاقًا ودفع الجزية ، بعد سفارة حملت هدايا نفيسة شملت بعض الأوانى الذهبية المرصعة بالجوهر ، وأبلغت الخليفة المعز رغبة

الإمبراطور فى عقد الهدنة بشروط الهدنة الأخيرة المتضمنة وقف القتال ، ودفع الجزية ، وإطلاق سراح مجموعة من أسرى المسلمين المشارقة (٥٠)، ولقد ذهل السفير البيزنطى نيقولا Nicholaa وهو أحد أشراف البلاط البيزنطى ، أثناء حفل استقباله فى المنصورية ، وأدهشه ما رآه من مظاهر الأبهة والعظمة والإجلال للحضرة المعزية .

وقبل أن يتوجه المعز إلى مصر اقتضت السياسة الاستراتيجية الفاطمية إعادة النظر فى ممتلكات الدولة الفاطمية فى إقليم المغرب الإسلامى وتنظيم أمورها بما فى ذلك صقلية وضمن هذا التوجه الجديد أعفى المعز بنى الحسن الكلبيين من حكم صقلية ، رغم ما بذلوه من جهود وتضحية لتثبيت الحكم الفاطمى فى المغرب وصقلية وفى ما وراء البحار ، فأقدم المعز فى سنة ٣٥٩هـ / ٩٧٠م على استدعاء أبى الحسن أحمد بن الحسن من صقلية إلى المهدية مع جميع أفراد الأسرة وخدمها وأنصارها ، وعين على الجزيرة أحد مواليهم وهو يعيش مولى الحسن نفسه (٥١)، حتى يخفف من وقع هذا الانقلاب المفاجىء وتأثيراته على أفراد هذه الأسرة ومكانتها ، ولا شك فى أن المعز تخوف من تفكير هؤلاء بالاستقلال عن الدولة والتفرد بحكم الجزيرة بعد أن تصبح الفرصة مناسبة إثر انتقاله المرتقب إلى مصر .

لم يكن الوالى الجديد على مستوى المسؤولية ، ولم يتمكن من ضبط أمور الجزيرة فأثيرت النزعات القبلية بين كتامة ومنافسيها ، وحدثت الفتنة ، وعدم الاضطراب ، وخشى المعز من طمع الأعداء ، وتحركهم ، فما كان منه إلا أن اضطر إلى إعادة الحكم فى الجزيرة إلى آل بنى الحسن الكلبيين ، فعين أبا القاسم بن الحسن بن على بن أبى الحسين نيابة عن أخيه أحمد الذى بقى فى المهدية ، أميراً لصقلية ، ومات أحمد بعد مدة قصيرة فعهد المعز بأمر صقلية إلى أبى القاسم ، فارتاح أهلها لهذا التعيين وهمدت الفتنة ، وهدأت الأحوال ، بعودة الأمور إلى مجاريها ، وعاد حكم الجزيرة لهذه الأسرة بعد أن أجبرت الأحداث العسكرية المعزّ على الاعتراف لها بحكم وراثى فى صقلية (٥٢).

وهكذا استقرت الأمور فى صقلية داخليًا وخارجيًا ، واطمأن الخليفة المعز على أملاكه فى صقلية ، وفيما وراء البحار ، كما اطمأن على سلطانه فى المغرب العربى ، واستمر السلام بعد انتقاله إلى مصر فترة اتخذ خلالها التوجه الفاطمى منحى جديداً ، وسياسة خارجية جديدة تخضع لمؤثرات مستجدة شرقية وربما مختلفة ، وكان على الفاطميين أن يتعاملوا بجدية مع المعطيات الجديدة بعد استقرارهم فى مصر .

ربما كانت أهم الاثار التى ترتبت على السيطرة الإسلامية الجديدة على البحر المتوسط الغربى ، وهذه السيطرة كانت نسبية غير مطلقة وقد جاءت من باب التعميم غير الدقيق ، والمقصود بالسيطرة ، أن الغلبة فى البحر المتوسط بجزأيه الغربى والشرقى غدت تحت الإشراف العربى الإسلامى ، وزال الخطر البيزنطى الذى كان كثيراً ما يحد من النشاط التجارى فيه ، عندما كانت بيزنطة تستخدم أسلوب السلبية(٥٣) التجارية عن طريق سيطرتها على المتوسط، والتحكم فى مفاتيحه ، لأطماعها ومكاسبها الخاصة ، ضاربة بالمصالح البشرية عبر الحائط .

ظهر فى هذه الفترة للعالم الإسلامى ثلاثة مراكز متميزة للقوات الإسلامية البحرية فى حوض البحر المتوسط ، الأول فى الغرب ممثلاً للقوة الأموية فى الأندلس ، والثانى فى الوسط ، وهى قوة الأغالبة التى ورثتها الدولة الفاطمية ، أما الثالثة فكانت فى الشرق متمثلة بقوة البحرية الإسلامية فى مصر والشام ، وكان أهم هذه المراكز وأقواها القوة التى تركزت فى الشمال الإفريقى وفى صقلية أيضًا . وقد ورث الإشراف عليها وعلى قيادتها وتطويرها الفاطميون منذ سنة ٢٩٧هـ / ٩٠٩م كما رأينا (٥٤).

وكان الاحتكاك العسكرى البحرى بين قوات هذه المراكز الثلاثة ضعيفًا وغير ظاهراً ، إلى أن قامت الخلافة الفاطمية ، معلنة شعاراتها الطموحة ، ونظريتها التوسعية ، واستخدمت قوتها البحرية ضد أملاك الخلافتين العباسية فى الشرق والأموية فى الغرب ، وظهر كل ذلك فى الحملات العسكرية المتكررة إلى مصر ابتداء من عهد المهدى الخليفة الفاطمى الأول وإرسال الحملات العسكرية البرية والبحرية منذ عام ٣٠١هـ / ٩١٣م ، واستمرار ذلك التوجه إلى أن تمكن الخليفة المعز وقائده جوهر من تحقيق الحلم الفاطمى فى مصر ، ومعلوم أنه كان يرافق هذه الحملات البرية وحدات بحرية ترافقها وتساندها وتحمل لها المؤن والذخيرة وما تحتاجه (٥٥).

كما قام الفاطميون بالتحرش بالأمويين فى الأندلس ، ولم يكتفوا بالنشاط الفكرى ، ومؤازرة الثوار على الحكم الأموى ، إنما تجاوز ذلك إلى غزو الأملاك الأموية فى الأندلس سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠م ، وتكرر هذا الغزو فى سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م عندما قام الأسطول الفاطمى من صقلية فى عهد الخليفة المعز وغزا ميناء المرية الواقع فى جنوب شرق الأندلس ، واحرق مراكبه والمخازن الخاصة بالسفن ، وما فيها من معدات بحرية من الصوارى والعدد ونهب جميع ذخائرها ، ثم عاد الأسطول الفاطمى محملاً بالغنائم إلى المهدية(٥٦) ، ومعلوم أن الأمويين ردوا على المشروع الفاطمى بإجراءات سريعة ، وفعالة ، وأبطلوه واستخدموا كافة السبل

حيـاله، بما فى ذلك التـعـاون مع الأعـداء البـيـزنطيين ، الأمـر الذى عـمق الخـلاف بين القـوى الإسـلامـيـة فى غرب العـالم الإسلامى ، وقـاد ذلك إلى آثار سيئة على كلتا الدولتين ، وألحق الضرر الكبير بالمصالح العليا العربية الإسلامية وقدم كل ذلك الدليل الأكيد على وجود عوامل الانحلال الداخلى فى الدول الإسلامية ولم تتمكن البحرية الإسلامية من أن تقيم تعاونًا واضحًا وتحقق سيـادة عـربيـة معـادلة لسـيـادة بيـزنطة البحرية على المتـوسط ، عندمـا كان واقعًا تحت نفوذها الذى استمر حتى[٥٧] سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م .

ورغم كل هذه السبيات الظاهرة ، وعلى الرغم من أن هذه السيادة العربيـة الإسلاميـة على البحر المتوسط كانت نسبيـة إلا أنهـا تركت آثاراً إيجابيـة اقـتصـاديـة عظيـمـة ، وأثرت بشكل واضح فى الخط التـجارى فى معظم أقـاليم هذا البحر المتـوسط بالإضافة إلى الأسود ، وكان المستفيد الأول من هذا التـحول الجديد ، والأكثر نفعًا من الوجهة الاقـتصادية والتـجارية سكان صقلية عـامة والشـمال الإفـريقى خاصـة ، حيث ازدادت أهمية سكان المنطقتين كوسطاء دوليين فى التجارة العالمية فى الشمال والواصلة بين سورية ومصر عن طريق صقلية وكريت وقبرص ، وتحكم هؤلاء الأفارقة فى نقل السلع بين الغرب والشرق ، وتقدموا على حساب التجار الشوام والأوربيين فقامت سفنهم وجابت هذه الأماكن لنقل السلع والتوابل والمنتجات الشرقية الفاخرة من مخازنها فى مصر والشام ، وإيصالها للغرب الإسلامى والأوربى .

هذه السيادة العربية على البحر المتوسط الغربى ، أدت إلى رخاء واضح لجميع بلاد المغرب كافة ، ويظهـر ذلك بقـوة عندمـا نقـوم بعـمل مقـارنة بسيطة بين مـا كـانت عليـه بعض المدن المشهورة فى الشـمال الأفريقى فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع عندما كان النفوذ فى المتوسط لصالح بيـزنطة كـاملاً ، وبين هذه الفترة التى نحن بصدد دراستها منذ منتصف القرن التاسع وإلى نهاية القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، حيث يتضح لنا الفارق ، ونرى أن تونس والقيروان ورقادة ، وغيرها من المدن المغربية المهمة زراعيًا وصناعيًا وتجاريًا ، زادت خيراتها وثراواتها وربما تضاعفت زمن الفاطميين على الرغم من فداحة الضرائب التى فرضها هؤلاء عليـهم بهـدف تحقـيق مشـروعـهم التوسعى ، ومـا أدى إليـه من حـروب وصـراعـات فى المنطقة، وما استـهلكه من أموال طائلة ، وخير مثال عـن ذلك الثروة الهـائلة التى انفقها المعز على حملته التى كلفت بفتح مصر والتى بلغت حصيلة ما جمعوه لها حوالى ٢٤ مليون دينار ذهبى ، وهو مبلغ مهم وكبير ويقدم البرهان الأكيد على التقدم الاقتصادى المتحصل من التجارة والصناعة فى الداخل والخارج [٥٩].

كما كان من آثار هذا التحول الجديد توسع تجارة الشمال الإفريقى مع مصر فى القرن الرابع الهجرى العاشر الميلادى ، وتوافد الكثرة من البربر وعرب أفريقيا إلى مصر واستقرارهم فى الإسكندرية ، وهؤلاء شغلوا دوراً مهمًا فى مساعدة الحملات الفاطمية على مصر بدءاً من الحملة الأولى وحتى حملة جوهر الصقلبى الأخيرة .

ومما يؤكد هذا التواصل الحضارى فى هذه الفترة ، بين الشمال الأفريقى وشرق البحر المتوسط ، انتقال الزراعات ، وبعض النباتات من الشرق إلى الغرب كزراعة القطن ، وقصب السكر ، والزعفران[٦٠] وغيرها من مواد زراعية وصناعية إلى بلاد المغرب وكذلك إلى صقلية، وفيما بعد ساعد هذا التنقل الذى ابتدأ من هذه الفترة ، على إيصال هذه البذور الحضارية إلى أوربا ، وعلى إنهاض الهمم فيها ، وغرس بذور الأمل فى نهضتها المرتقبة .

كما كان من آثار ذلك النشاط التجارى الوصول إلى أعماق القارة الأفريقية وإلى منطاق تواجد الرقيق ، وتوفر الذهب ، فوجدت مسالك وطرق جديدة فى العصر الفاطمى ، لتؤمن للقوافل الوصول إلى السنغال والنيجر والسودان ، مخترقة الصحراء ، حيث الذهب والرقيق الأسود ، وهذا ما زاد فى أهمية سجلماسة على هذا الطريق ، منذ أن شيدها الرستميون فى سنة ١٤١هـ / ٧٥٨م ، وغدت من أهم المراكز على الطرق التجارية المتجهة إلى أماكن هذه السلع المهمة فى أفريقية ، ومن المظاهر الدالة على ازدهارها فى القرن العاشر أن الضرائب المفروضة عي هذه التجارات السودانية بلغت حوالى ٤٠٠,٠٠٠ ألف دينار سنويًا [٦١].

كما استفادت مصر هى الأخرى من هذا الوضع الجديد ، وبلغت درجة من الرخاء خلال القرن العاشر على الرغم من الأحداث العسكرية التى تفجرت فيها منذ بداية القرن ، وربما كان التحول التجارى الذى أصاب التجارة الشرقية وانتقل بها عن طريق الخليج العربى والعراق ومراكزها كهرمز والبصرة إلى مصر والبحر الأحمر ، من العوامل التى ساعدت على ازدهار مصر ونهوضها الاقتصادى ، حيث تشير بعض المصادر لهذا النشاط وازدهارها المراكز الواقعة على هذا الخط أمثال عدن[٦٢] والإسكندرية التى أصبحت مستودعًا كبيراً لتجارة البحر المتوسط ، وغصت بتجار المغرب والبندقية وكذلك من القسطنطينية ، وشاركت الشام مصر فى رخائها رغم الصراعات الإقليمية فيها ، وانتعشت مدنها البحرية لاسيما طرابلس وبيروت وصور وجميع الموانىء والثغور الساحلية الإسلامية ، وذلك بسبب فتح البحر المتوسط أمام التجارة العربية الإسلامية ، وانتهاء التحكم البيزنطى[٦٣] ، وما رافقه من سلبية تجارية كما أشرنا إلى ذلك .

ومن مظاهر هذا الرخاء التجارى ونشاطه أيضًا ، التغيرات التى رافقت استخدام الدينار الذهبى ، حيث عم انتشاره شرقًا وغربًا ، وغدت المناطق الإسلامية فى الغرب والشرق تشكل وحدة اقتصادية نقدية واحدة ، وبعد أن كان استخدام الدينار حتى سنة ١٨٤هـ / ٨٠٠م مقتصراً على الشمال الأفريقى والشام ومصر وبعض أجزاء فى إيطاليا ، أصبح فى حوالى سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠م نقداً دولياً دون منازع واستخدم فى جميع أنحاء العالم الإسلامى(٦٤) ما بين بلاد فارس والأندلس .

والأهم من ذلك كله أن السيطرة العربية الإسلامية على البحر المتوسط بجزأيه لم يكن لها آثار اقتصادية سلبية حتى على الأقاليم البيزنطية الشمالية ، وأسباب ذلك تعود إلى أنه لا توجد أية إشارات تشير إلى محاولة القوى الإسلامية عرقلة التجارة الدولية الذاهبة إلى الإمبراطورية البيزنطية أو القادمة منها ، أو التحكم فيها ، ومما يؤكد على ذلك انعدام ما يدل على أن الإمبراطورية البيزنطية تعرضت لأزمات اقتصادية خلال هذه الفترة المدروسة بل توضح القرائن أنها كانت تنعم برخاء اقتصادي هى الأخرى ، واستمرت القسطنطينية من المراكز الصناعية والتجارية المهمة فى عالم البحر المتوسط وبين شعوبه (٦٥) ، وبقيت عملتها رائجة ، ونقدها الذهبى نقيًا ، وواسع التداول ، وتوسعت الأعمال المصرفية ، وزادت أرباحها وجاء ذلك نتيجة للرخاء الذى عمّ العاصمة القسطنطينية ، واستمرار علاقاتها التجارية مع الغرب بواسطة المدن التجارية الإيطالية أمثال البندقية وغيرها .

أما الوضع الاقتصادى فى أقاليم الغرب اللاتينى المهمة ، فإنه اختلف تمامًا عن بقية بلاد البحر المتوسط ، وغدت مناطق الساحل المسيحى فى المتوسط من برشلونة حتى نهر التيبر تشكل مناطق مهجورة ، وميتة ، واختفت معالمها المتقدمة السابقة التجارية وغيرها وضعفت أمام التحدى العربى الإسلامى فى الأندلس .

أما مدن ساحل إيطاليا الغربى أمثال أمالفى وجاتيا ، وسلرنو ، ونابولى فقد حظيت بشىء من التقدم ، ولم تلتزم كثيراً بتوجيهات بيزنطة ، وتمكنت بما ملكت من قوة من أن تحدد علاقاتها الاقتصادية مع العرب المسلمين على قدم المساواة ، وكذلك حدث مع البندقية على البحر الأدرياتى ، حيث استفاد تجارها من التفوق الإسلامى فى البحر المتوسط ، واستمر تجار هذه المدن يتعاملون مع البلاد الإسلامية ، رغم اعتراضات بيزنطة والبابوية ، وكانت حاصلاتهم من الحديد والخشب والأسلحة ، إضافة إلى تجارة الرقيق هى التى درت على البندقية أرباحًا

طائلة فى أسواق العالم الإسلامى ما بين قرطبة وبغداد باعتبار أنه كان لهذه السلعة قيمة كبيرة فى قصور الحكام ، كما كان الخشب والحديد من المواد المهمة فى الصناعات البحرية والحربية وكانت دائمًا مطلوبة على طول السواحل البحرية فى المتوسط (٦٦). وقد تميزت نابلى عن غيرها من المدن الإيطالية فى علاقاتها مع العرب المسلمين ، وكثيراً ما كانوا ينقلون إضافة إلى الحديد والخشب العبيد والمنسوجات إلى الأسواق الإسلامية ، ويعودون محملين بزيت الزيتون والسلع الشرقية والمصنوعات فى بلرم ، وشمال أفريقية .

جملة القول إن فترة السيطرة الإسلامية على حوض المتوسط من ٢١٢هـ / ٣٤٩هـ (٨٢٧ - ٩٦٠م) كان لها تأثيرات إيجابية واضحة على مجمل النواحى الاقتصادية لاسيما التجارية على شعرب ذلك البحر ، حيث شهدت انتعاش العديد من الطرق التجارية ، واتضح تفوق الشمال الأفريقى وتقدمه ، وسيطرته على تجارة البحر المتوسط ، وعلى الرغم من هذا التقدم للشمال الأفريقى ، فلم يكن حائلاً دون الرخاء التجارى الشامى ، كما أن البحر الأحمر وتجارته نهضت ولاقت كل ازدهار ، وتبين أن العالم الإسلامى بجملته شهد فى هذه المرحلة تقدمًا ظاهراً ، كما أن بيزنطة لم تخرج عن هذا الإطار فزاد رخاؤها ، ووصلت إلى أوربا كما أشرنا عن طريق البندقية وبعض المدن الإيطالية القديمة ، وبوساطة الطرق الواصلة بين البحرين الأسود والبلطى .

وهذا العصر يعد من العصور الحيوية المميزة فى تاريخ البحر المتوسط حيث تبدل النظام الاقتصادى القديم ، وحدث تعديل فى التحولات الاقتصادية للأقاليم الاقتصادية الغربية من زراعية إلى صناعية ، وشاركت المدن الإيطالية الوساطة التجارية ما بين الشرق والغرب ، وكل ذلك أخذ يشكل الخطوات الأولى نحو السيطرة الغربية فى البحر المتوسط التى أخذت تتحكم فى الأقاليم العربية الإسلامية الغربية شيئًا فشيئًا ، وأدى ذلك كله إلى التحكم الأوربى الغربى فى شؤون هذا البحر المتوسط ، والتسلط على مصيره ، وخيرات شعوبه ، ومن ثم إحكام القبضة عليه .

الهوامش

١ – ارشيبالد : القوى البحرية ، ص ٩٤ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ : تاريخ البحرية الإسلامية ج٢ ص ٢٣ ، ٢٤ .

٢ – انظر : فاريليف : العرب والروم ، ص ٦٣ ؛ وجوردن : دائرة المعارف الإسلامية ، مادة صقلية ؛ الواقدى : فتوح الشام ومصر ص ٤١٣ ؛ تقى الدين عارف الدورى : صقلية علاقتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربى حتى الغزو النورمندى : ص ٢٣ ، بيروت ١٩٨٠ .

٣ – المصادر والمراجع السابقة .

٤ – ٥ – انظر أقوال الرحالة العرب المسلمين ، المكتبة الجغرافية الصقلية ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢٢٠ ، ٢٨١ ... إلخ ؛ ابن عذارى : المغرب البيان ج١ ، ص ٢٣ ؛ صابر دياب : سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر المتوسط من أوائل القرن الثانى الهجرى حتى نهاية العصر الفاطمى، ص ٧٥ .

٦ – ٧ – أرشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٠٠ ؛ صابر دياب : سياسة ، ص ٩١ / ١٤١ .

٧ – المقريزى : اتعاظ ، ج٢ ، ص ٩٢ ؛ جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٢٢ ، وقيام الدولة الفاطمية فى مصر ، ص ٢٦ ؛ أيمن فؤاد : الدولة الفاطمية ، ص ٤٩ .

٨ – ابن عماد : أخبار ملوك بنى عبيد " لعله هو عبد الله وليس عبيد الله وإنما عبيد الله هو تصغير لاسمه ، ؛ ابن القطان : نظم الجمان ، ص ٢٣٩ ؛ المقريزى : اتعاظ ، ص ٨ ؛ عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها ، ص ٨١ ط ٤ ، ١٩٩٤م .

٩ – المقريزى : اتعاظ ج٢ ، ص ٨٠ ؛ ماجد : ظهور ، ص ٨١ .

١٠ – القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ص ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ تحقيق الحبيب الفقى ، تونس ١٩٧٨ ؛ ماجد : ظهور ، ص ٨٦ وما بعدها ؛ محمد محمود مكى : التشيع فى الأندلس ، ص ١١١ ؛ حسن إبراهيم حسن : المعز لدين الله الفاطمى ص ٤٦ ، ٣٠٣ وما بعدها ؛ العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب ، ص ٥٢ .

١١ – المكتبة الصقلية ، ص ٢٥٠ ؛ عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ج ، ص ٢٢٧ ، ٢٣٢ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب ج٣ ، ص ٥٧ ، ٦٢ .

١٢ – انظر : المقريزى : اتعاظ ج ٢ ، ص ١٣٣ تحقيق الشيال ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، ص ١٢٨ ط ١٩٥١م ، تحقيق الدهان ؛ السيد عبد العزيز سالم : طرابلس الشام ، ص ٤٥ ، تاريخ البحرية ج١ ، ص٩٩ .

١٣ – عريب بن سعيد : صلة تاريخ الطبرى ، ص ١٧٣ ليدن ١٨٩٧م ؛ الكندى : الولاة ، ص ٢٦٩ ؛ المقريزى : اتعاظ ج٢ ، ص ٧١ ؛ ابن الوردى : تتمة المختصر فى أخبار البشر ،ج١ ، ص ٢٥٩ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ج٢ ، ص ١٧٢ ، تاريخ البحرية ج ١ ، ص ٧٠ .

١٤ – انظر : أرشيبالد : القوى ، ص ٢٢٤ .

١٥ – البكرى : المغرب ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٩ وما بعدها ؛ ابن أبى دينار القيروانى : ص ١١ ؛ الكامل : ج ٨ ، ص ٩٤ ، ٩٥ ؛ العبر ج٢ ، ص ٦٢٨ ؛ التجانى : ص ٦ ؛ ابن حوقل : صورة ، ص ٧٣ ؛ سالم : البحرية الإسلامية ج ١ ، ص ٧١ ، ٧٢ ؛ سعيد زغلول عبد الحميد : تاريخ ج ٣ ، ص ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٩ .

١٦ – انظر : الأنطاكى : تاريخ ص ٧٤٦ ، ٧٤٨ ؛ المقيرزى : اتعاظ ج ٢ ، ص ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ؛ صابر دياب : سياسة ص ١٠١ ، ١٠٣ ؛ سيرة الأستاذ جوذر : ص ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١١٩ ، ١٢١ نشر محمد عبد الهادى شعيرة ، ومحمد كامل حسن ؛ حسن إبراهيم حسن : المعز لدين الله ، ص ٨٥ ، ١٨٦ ؛ ارشيبالد : القوى ، ص ٢٤١ ، ٢٤٢ ؛ سالم : تاريخ البحرية ج ١ ، ص ٧٢ .

١٧ – ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ، ص ١٤٧ ؛ سيرة الأستاذ جوذر : ص ١١٧ ؛ الأدريسى : نزهة ، ص ٩١ ، ١١٦ ، ١١٧ ، المكتبة الجغرافية ، ص ١٣٤ ؛ الحميرى : الروض المعطار ص ١٤١ / ١٧٤ ؛ اليعقوبى : البلدان ص ٣٤٩ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية ج ١ ، ص ٧٣ ، ٧٤؛ ابن حوقل : صورة ص ٧٧ ، ٨٤ ؛ البكرى : المغرب ، ص ٣٣ .

١٨ – أرشيبالد : القوى ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٣ وعن أهمية صقلية والمواد الأولية فيها اللازمة لصناعة السفن : انظر : المكتبة الصقلية ٢٥ ومابعدها ٧٤ ، ٨٧ ... إلخ .

١٩ – ابن خلدون : العبر ج ٢ ، ص ٦٢٧ ؛ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية ج١ ، ص٧٦ .

٢٠ – انظر : فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك العسكرى والاتصال الحضارى ج ٢ ، ص ١٩٢ ، القاهرة ١٩٦٧ ؛ الحميرى : الروض المعطار ص ١٧٢ ؛ البكرى : المغرب ، ص ٢٠ ؛ الإدريسى : نزهة ، ص ١٢٦ ، ١٢٨ ؛ سالم : تاريخ البحرية ج١ ، ص ٧٧ .

٢١ – ابن خلدون : ج ٢ ص ٦٢٧ ؛ سالم : البحرية ، ج١ ص ٧٧ / ٧٨ ؛ فتحى عثمان : الحدود ج ٢ ، ص ١٨٩ ، ٣٤٧ .

٢٢ – انظر أرشيبالد : القوى ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ ج ٢ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٥ و ج٣ ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

٢٣ – انظر : النعمان : افتتاح الدعوة ، ص ٢٤٦ ؛ تقى الدين الدورى : صقلية ، ص ١٠٢ ؛ صابر دياب : سياسة ص ١٤١ نقلاً عن النويرى نهاية الأردب ، المكتبة الصقلية ، ص ٣٣٤ حيث يذكر أن اسم والى الأغالبة الأخير هو " أحمد بن أبى الحسن بن رباح " .

٢٤ – ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٤٩ ، ٥٠ ؛ أبو الفداء : المختصر ج ٢ ، ص ٦٦ ؛ ابن خلدون : العبر ج ٤ ، ص ٢٠٧ ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٩٨ ؛ تقى الدين الدورى: صقلية ، ص ١١٣ ؛ مورينو : المسلمون فى صقلية ، ص ١٤ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ ج ٣ ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

٢٥ – انظر : ميخائل أمارى : المكتبة العربية الصقلية نصوص فى التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع ص ٤٧٦ ، بيروت ليبسك ١٨٥٧م ؛ ابن خلدون : العبر ج ٣ ، ص ٣٦٥ ، ج ٤ ، ص ٢٠٧ ؛ الكامل : ج ٨ ، ص ٧١ ؛ تقى الدين الدورى : صقلية ص ١١٦ ، ١١٧ ؛ سعد زغلول عبد الحميد تاريخ ج ٣ ، ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

٢٦ – وعن هذه الثورة وأهدافها : انظر : النعمان : افتتاح الدعوة ، ص ٣٢٦ ؛ الأنطاكى : تتمة تاريخ سعيد بن البطريق ، ص ٧٦٢ . ٧٦٤ ، طبعة باريس ١٩٢٤ ؛ الكامل : ج ٨ ، ص ٧١ ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٣ ، ص ١٢٠ ؛ العبر ج ٤ ، ص ٢١٧ ؛ المقريزى : اتعاظ ج ٢ ، ص ٦٨ ؛ تاريخ جزيرة صقلية ص ١٦٨ ؛ ابن عذارى : ج ١ ، ص ٢٣٣ ؛ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ص ٩٨ ، ٩٩ ؛ عبد الله المهدى ص ٢٦٨ ؛ تقى الدين عارف الدورى : صقلية : ص ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ ج ٣ ، ص ١٤٨ .

٢٧ – انظر : سعد زغلول : تاريخ ج ٣ ص ١٥٤ ، ١٥٥ ؛ تقى الدين الدورى : صقلية ص ١١٧ نقلاً عن مؤرخ مجهول : تاريخ جزيرة صقلية فى المكتبة الصقلية ، ص ١٦٩ .

٢٨ – أرشيبالد : القوى البحرية ، ص ٢٢٢ ، ٢٢٣ ؛ تقى الدين : صقلية ، ص ١١٧ .

٢٩ – تقى الدين الدورى : صقلية ، ص ١١٧ ؛ نقلاً عن مؤرخ مجهول : تاريخ جزيرة صقلية فى المكتبة العقلية ص ١٦٩ ؛ ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ، ص ٢٦٤ ؛ وانظر : سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ ، ج٣ ، ص ١٥٦ .

٣٠ – ابن عذارى : البيان ج ١ ص ١٨٩ ، ٢٦٦ فى حين جاء فى تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، ص ١٦٩ ، ١٧١ أن جعفر أخذ بريعانة ؛ انظر : سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ ج ٣ ، ص ١٥٦ .

٣١ – الكامل : ج ٨ ، ص ١٥٩ ؛ ابن عذارى : ج ١ ، ص ١٩٠ و ط بيروت ٢٦٧ حيث يرد اسم المدينة " وارى " بدلاً من أوريه – وانظر : تاريخ صقلية حسب تاريخ العالم ، المكتبة الصقلية لامارى ج ١ ص ١٧٠ ؛ سعد زغلول : تاريخ ج ٣ ص ١٥٧ ؛ تقى الدين الدورى : صقلية ، ص ١١٧ ؛ وانظر أرشيبالد : القوى ص ٢٣٤ وورد اسم أورية " أريو " .

٣٢ – انظر : سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ ج ٣ ص ١٥٨ نقلاً عن المكتبة الصقلية ج ١ فصل ٢٧ ، ص ١٧٠ .

٣٣ – ابن عذارى : البيان المغرب ج ١ ، ص ٢٧٠ ؛ تاريخ جزيرة صقلية فى المكتبة الصقلية ص ١٧٠ ؛ لويس أرشيبالد : القوى ، ص ٢٣٤ ؛ تقى الدين الدورى : صقلية ص ١١٧ .

٣٤ – انظر : مؤرخ مجهول : جزيرة صقلية فى المكتبة الصقلية ج ١ ، ص ١٧٠ ؛ ابن عذارى : البيان ج ١ ص ٢٧٠ / ٢٧٥ ؛ ح ، جاى : إيطاليا الجنوبية ص ٢١٨ ؛ سعد زغلول : تاريخ ج ٣ ص ١٥٩ ؛ تقى الدين الدورى : صقلية ص ١١٧ .

٣٥ – الكامل ج ٦ ، ص ١٨٢ ؛ مجهول : تاريخ جزيرة صقلية فى المكتبة الصقلية ص ١٧٠ ؛ تقى الدين الدورى : صقلية ، ص ١١٨ ؛ أرشيبالد : القوى ، ص ٢٣٤ .

٣٦ – انظر : العبر ج ٤ ، ص ٤٠ ؛ الكامل : ج ٦ ، ص ٢٤٦ ؛ وهناك اختلاف فى النصوص حول اعتبار جنوة من بلاد الروم أو الإفرنج انظر : سعد زغلول : ج ٣ ،و ص ٢٥٦ ؛ الكامل ج ٨ ، ص ٨٥ " حيث يقول إن جنوة من بلاد الروم ، وقارن ذلك مع افتتاح الدعوة ، ص ٣٣١ ، حيث تذكر افتتاح مدائن الروم فافتتحت جنوة ؛ انظر أرشيبالد : القوى ص ٢٣٤ " حيث يذكر أن الفاطميين أزعجهم النشاط البيزنطى فى غرب المتوسط فأرسلوا عام ٩٣٥ أسطولاً ليثبت دعائم سلطانهم فى مياه البحر التيرانى ، وأغار هذا الأسطول الفاطمى على مرونية وكورسيكا وربما على جنوة وتمكن من حرق العديد من السفن .

٣٧ – ابن عذارى : البيان المغرب ج١ ، ص ٣٠٥ ، ٣٤٣ ؛ ابن الأبار : الحلة السيراء كج ٢ ، ص ٣٠٢؛ الجوذرى : سيرة الأشتاذ جوذ ، ص ٧١ ، ٧٢ ؛ الكامل ج ٨ ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ ؛ العبر ، ج٣ ، ص ٢٠٨ ؛ سعد زغلول : ج ٣ ، ص ٢٦٠ ؛ عارف الدورى : صقلية ص ١١٧ ، ١١٨ .

٣٨ – انظر : الكامل : ج ٨ ، ص ٤٧١ ، ٤٧٣ ؛ العبر ج ٤ ص ٢٠٩ ؛ تقى الدين الدورى : صقلية ، ص ١٠٨ ؛ سعد زغلول : ج٣ ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

٣٩ – انظر : سعد زغلول : تاريخ ج ٣ ، ص ٢٦٦؛ نقلاً عن ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٤٧٢ .

٤٠ – انظر : الكامل ج٨ ، ص ٤٧٤ ، ٤٩٤ وأحداث سنة ٣٤٠ هـ . المكتبة الصقلية حيث يقابل سنة ٩٥٤م ٣٤٣هـ ، ج١ ، ص ١٧٤ و ١٧٤ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ ج ٣ ، ص ٢٦٧ .

٤١ – المصادر والمراجع السابقة .

٤٢ – انظر : ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٤٧٤ ، حيث يقول أن الحسن شرط على الروم إن أخرجوا حجراً من المسجد هدمت كنائسهم كلها بصقلية وأفريقية ، وأن الروم وجدوا بهذه الشروط ذلة وصغاراً؛ سعد زغلول : ج ٣ ، ص ٢٦٨ ؛ وانظر سليمان الرحيلى : السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية ، ص ١٧٤ ، الرياض ١٤١٤هـ .

٤٣ – انظر : القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ص ١٦٦ ، ١٦٧ ؛ إدريس عماد الدين القرشى : عيون الأخبار وفنون الآثار ج ٥ ، ص ٣٣٨ ، بيروت ١٩٧٥ ؛ سليمان الرحيلى : السفارات ، ص١٧٥ .

٤٤ – لم يفرق المعز بين أسرى المسلمين سواء كانوا تابعين للدولة الفاطمية أو مشارقة تابعين للعباسيين فالجميع مسلمون وهذا ما يتفق والتوجه الإسماعيلى الفاطمى حيث يعتبرون المسلمين كلهم رعاياهم وحتى ولو لم يكونوا تحت نفوذهم أو سلطانهم وكانوا يفتخرون على الأمويين بذلك . انظر : القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ١٧٥ و ١٦٧ ؛ سليمان الرحيلى : السفارات ، ص١٧٦ .

٤٥ – الكامل : ج ٨ ، ص ٥٤٣ ؛ المكتبة الصقلية ج ١ ، ص ١٧٥ ؛ ابن خلدون : العبر ج ٤ ، ص ٢٩، ٤٧ ، ٤٩ ؛ ابن ظافر الأزدى : الدولة المنقطعة ، ص ٢٣ ؛ تقى الدين الدورى : صقلية ، ص ١١٤ ، ١١٥ ؛ سعد زغلول : تاريخ ج ٣ ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

٤٦ – ج جاى : إيطاليا الجنوبية والإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٩ بالفرنسية ؛ سعد زغلول : تاريخ ج ٣، ص ٢٧١ .

٤٧ – انظر : الكامل ج ٨ ، ص ٥٥٦ ، ٥٥٧ ؛ حاى : إيطاليا الجنوبية والإمبراطورية البيزنطية (بالفرنسية) ص ٢٩٠ ، ٢٩١ ؛ المكتبة الصقلية ج ١ ، ص ١٧٦ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ، ج ٣ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

٤٨ – انظر المصادر والمراجع السابقة .

٤٩ – انظر : جاى : إيطاليا ، ص ٢٩١ ؛ سعد زغلول : تاريخ ، ج٣ ، ص ٢٧٣ .

٥٠ – القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ص ٣٦٧ ، ٣٧٠ ؛ الكامل : ج ٩ ، ص ٥٥٨ ، ٦٠٦ ، ٦٠٨ ، ٦١٠ ؛ أحمد عزيز : صقلية الإسلامية ، ص ٣١ (بالإنجليزية) ؛ سعد زغلول : ج ٣ ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ ؛ تقى الدين الدورى : صقلية ، ص ١١٦ ؛ نقلاً عن النويرى : نهاية الأرب ، مخطوط دار الكتب ج ٢٢ ، ص ورقة ١١٩ ؛ انظر : سليمان الرحيلى : السفارات ، ص ١٧٧ ، ١٧٩ .

٥١ – الكامل : ج ٨ ، ص ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦١٠ ، أحداث سنة ٣٥٩هـ ؛ سعد زغلول : تاريخ ج ٣ ، ص ٢٧٥ / ٢٧٦ ؛ أحمد عزيز : صقلية الإسلامية (بالإنجليزية) ، ص ٣١ .

٥٢ – المصادر والمراجع االسابقة .

٥٣ – أرشيبالد : القوى البحرية ، ص ؛ فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية ، ص ٢٢ إلى ٢٦ ؛ زيود : حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولونى حتى نهاية العصر الفاطمى ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

٥٤ – انظر ما سبق من هذا البحث .

٥٥ – القاضى النعمان : المجالس والمسايرات ، ص ١٥٦ ؛ الكامل : ج ٨ ، ص ٥١٣ حوادث سنة ٣٤٤هـ ؛ سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ ج ٣ ، ص ٢٢٩ ؛ أرشيبالد : القوى ، ص ٢٥١ .

٥٦ – انظر سعد زغلول عبد الحميد : ج ٣ ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ؛ نقلاً عن المجالس والمسايرات ، ص ١٦٤ ، ١٦٥ ؛ الكامل ج ٨ ، ص ٥١٣ .

٥٧ – أرشيبالد : القوى ، ص ١٥٧ ، ٢٥٢ .

٥٨ – انظر أرشيبالد : القوى ، ص ٢٥٢ .

٥٩ – المقيرزى : اتعاظ ج ٢ ، ص Lane Poolci Egypt : p. 101 - 1s

أرشيبالد : القوى ، ص ٢٥٤ .

٦٠ – البكرى : المغرب ، ص ٦٥ ، ٦٧ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٤١٣ ، ٤١٥ ؛ أرشيبالد : القوى ، ص ٢٥٤ .

٦١ – لومبارد : العرب فى أوج حضارتهم تجارة الذهب ، ص ١٤٩ ؛ أرشيبالد ، ص ٢٥٥ .

٦٢ – أرشيبالد : القوى ، ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ نقلاً عن المقدسى ؛ وانظر :

Lestusange, G. Baghdad under the chliphis. p. 44 , 77 .

٦٣ – أرشيبالد : القوى ، ص ٢٥٩ .

٦٤ – لومبارد : العالم الإسلامى ، النقد ص ١٥٢ ؛ أرشيبالد : ص ٢٦١ .

٦٥ – لومبارد ، ص ١٥٣ ؛ أرشيبالد : ص ٢٦٤ ، ٢٦٦ .

٦٦ – أرشيبالد : ص ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ .

المراجـع

١ - ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، بيروت ١٩٧٩م .

٢ - أرشيبالد ، لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط (٥٠٠ - ١١٠٠) ترجمة غربال وعيسى ، مكتبة النهضة ، القاهرة .

٣ - أحمد عزيز : صقلية الإسلامية (بالإنجليزية) ادنبرة ١٩٧٥م .

٤ - أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية تفسير جديد ، ط ١ ، ١٩٩٢م ، القاهرة .

٥ - النعمان بن محمد : كتاب افتتاح الدعوة ، تحقيق فرحان الدشراوى ، تونس ١٩٧٥ ، كتاب المجالس والمسايرات ، تحقيق الفقى ، وشبوح ، واليعلاوى ، تونس ١٩٧٨م .

٦ - البكرى : المغرب ، المسالك والممالك ، نشر رسلان الجزائر ١٨٥٧م .

٧ - التجانى : الرحلة ط ١ ، تونس ١٩٢٧م .

٨ - السيد عبد العزيز سالم والعبادى : تاريخ البحرية الإسلامية ج ١ و ج ٢ ، ط ١٩٩٣م .

٩ - تقى الدين عارف الدورى : صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربى حتى الغزو النورمندى ، بغداد ١٩٨٠م .

١٠ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية ١٩٨١م ، المعز لدين الله الفاطمى القاهرة ١٩٦٤م .

١١ - حسين مؤنس : تاريخ المسلمين فى البحر المتوسط ، ط٢ ، القاهرة ١٩٩٣م .

١٢ - ابن الخطيب : الأعلام ، تحقيق العبادى ، والكتانى الرباط .

١٣ - ابن خلدون : العبر بولاق ، ٧ أجزاء والمقدمة ..

١٤ - رؤوف عباس : مصر وعالم البحر المتوسط ، ط١ ، القاهرة ١٩٨٦م .

١٥ - راشد البراوى : حالة مصر الاقتصادية فى العصر الفاطمى ، القاهرة ١٩٨٦م .

١٦ - سليمان الرحيلى : السفارات الإسلامية إلى الدولة البيزنطية ، الرياض ١٤٠٦هـ .

١٧ - سيرة الأستاذ جوذر : تحقيق محمد كامل حسين ، ومحمد عبد الهادى شعيرة ، القاهرة ١٩٥٤م .

١٨ – سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب ، ج ٣ ، الإسكندرية ١٩٩٠م

١٩ – صابر محمد دياب : سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ، عالم الكتاب ، القاهرة ١٩٧٣م .

٢٠ – على حسنى الخربوطلى : الإسلام فى حوض البحر المتوسط ، بيروت ١٩٧٠م .

٢١ – عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، دار الفكر ، القاهرة، السجلات المستنصرية ، القاهرة .

٢٢ – ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ، دمشق ١٩٥١م .

٢٣ – عارف تامر : تاريخ الإسماعيلية ، ج ١ ط ١ ، ١٩٩١م .

٢٤ – ابن عذارى : البيان المقرب ، نشر إحسان عباس ، بيروت .

٢٥ – فتحى عثمان : الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك العسكرى والاتصال الحضارى ج ٢ ، القاهرة ١٩٦٧م .

٢٦ – فازيليف : العرب والروم ، ترجمة محمد عبد الهادى شعيرة ، وفؤاد حسين على ، القاهرة دار الفكر .

٢٧ – لومبارد موريس : الإسلام فى فجر عظمته ، ترجمة حسين عودات ، دمشق ١٩٧٩م.

٢٨ – المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج١ ، تحقيق الشيال ج٢ ، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة ١٩٧١م .

٢٩ – محمد جمال الدين سرور : تاريخ الدولة الفاطمية دار الفكر ١٩٩٥م ، وسياسة الفاطميين الخارجية .

٣٠ – ميخائيل أمارى : المكتبة العربية الصقلية ، ليبسك ١٨٥٧م .

٣١ – محمد زيود : حالة بلاد الشام الاقتصادية منذ العصر الطولونى حتى نهاية العصر الفاطمى ، بيروت ١٩٩٢م ، دار الفكر .